جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

آثار الإرهاب على العولمة السياحية

الرؤية والمواجهة

د. سلطان أحمد الثقفي

٢٠٠٢م

آثار الإرهاب على العولمة السياحية

الرؤية والمواجهة

د. سلطان أحمد الثقفي

آثار الإرهاب على العولمة السياحية

الرؤية والمواجهة

الملخص

محور هذه الورقة هو آثار الإرهاب على العولمة السياحية وصناعة السياحة بوجه عام. وهي تطرح أفكاراً وتساؤلات أكثر منها تعالج مسببات وتبرز نتائج.

لقد استطاعت العولمة بجميع جوانبها ومكوناته، وأبرزها التكنولوجية والمعلوماتية، تقليص عاملي الزمان والمكان. من خلال السرعة واختصار الوقت واختزال الجغرافيا. ولذلك يرى الكاتب أن العولمة تيار أو حقبة ينبغي الدخول فيها والتفاعل الواعي معها برؤى ومنهجيات وآليات جديدة تلائم العصر، لكي نستفيد من إيجابياتها ونتلافى سلبياتها.

كما تناولت هذه الورقة بعض الآثار على قطاع السياحة الدولية وخصوصاً بعد الأحداث الأخيرة.

مشكلة البحث

أول ما يواجه الباحث في ميدان السياحة والإرهاب على كل المستويات الوطنية والإقليمية والدولية هو كثرة التعاريف والمصطلحات لمفهومي السياحة والإرهاب. وهما بالضرورة مفهومين متضادين، أحدهما مطلوب ومشروع (السياحة) والأخر مرفوض وممنوع (الإرهاب). ومع ذلك فهما ظاهرتان أو مفهومان يسهل وصفهما أكثر من تعريفهما.

وهذه الورقة تتمحور حول آثار الإرهاب على العولمة السياحية وصناعة السياحة بوجه عام. الإرهاب والعولمة السياحية كيفية العلاقة والتداخل بين هذه المفاهيم. ولأن الإرهاب والعولمة مفهومان معقدان ومركبان لا يمكن لورقة بهذا الحجم، ومحكومة بعامل الزمن، أن تعالجهما بشمولية فهي تطرح أفكاراً وتساؤلات أكثر منها تعالج مسببات وتبرز نتائج.

السياحة كصناعة وكظاهرة اجتماعية اقتصادية ونشاط بشري واسع على كل الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية لا تقوم إلا بتوافر عدة شروط أو عناصر أبرزها:

- توافر المال الكافي للصرف على الرحلة السياحية ومتطلباتها.
- توافر الوقت الكافي والملائم للسياحة.
- توافر وسيلة النقل.
- توافر السكن في مكان الإقامة.
- توافر الخدمات الضرورية والمطلوبة في محيط المنطقة المقصودة خلال فترة الرحلة.
- توافر الأمن كمطلب أولي وأساس.

إذن شرط الأمن هو الأساس وهو يسبق كل الشروط الأخرى لأنه شرط الحياة الذي لا تستقيم إلا به. وخير دليل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م الأخيرة وتأثيراتها على قطاع السياحة وحركة السفر الدولية بشكل عام.

ومعلوم أن السياحة الدولية تُعد ثاني أكبر مصدر للدخل من التجارة الدولية بعد البترول. كما أن السياحة الداخلية تشكل نسبة عالية من المداخيل السياحية للكثير من الدول والكبيرة منها على وجه الخصوص. فحجم مداخيل السياحة الداخلية في الولايات المتحدة تشكل حوالي ٩٠٪ على

سبيل المثال، بينما يعتقد أن السياحة الداخلية تمثل ما بين ٧٥ ـ ٨٠٪ من حجم الأنشطة السياحية (الثقفي ، ١٤١٧هـ ص ٥٢)، وحسب إحصاءات منظمة السياحة العالمية (WHO) فقد بلغ السياح الدوليون أكثر من ٤٤٣ مليون شخص . بلغت عائداتهم باستثناء تكاليف النقل الدولي حوالي ٢٥٥ بليون دولار أمريكي في عام ١٩٩٠م (Latham, 1992, pp.268-269) . وبهذا يكون عدد السياح قد تضاعف ثلاث مرات ، بينما تضاعفت المداخيل السياحية إلى أكثر من ١٤ ضعفاً منذ عام ١٩٧٠م حتى ١٩٩٠م .

ولاتساع دائرة هذا النشاط ولكونه من أبرز الظواهر الاجتماعية الاقتصادية المتنامية في الحياة المعاصرة، فهو يعد أبرز وسائل العولمة وأدواتها . ولقد استطاعت العولمة بجميع جوانبها ومكوناته، وأبرزها التكنولوجية والمعلوماتية، تقليص عاملي الزمان والمكان . من خلال السرعة واختصار الوقت واختزال الجغرافيا .

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز آثار الإرهاب على صناعة السياحة في ظل العولمة (أو العولمة السياحية)، مع الإشارة إلى مفهومي العولمة والإرهاب، وكيفية المواجهة من وجهة نظر شخصية . أما التساؤل فهو : ما هي آثار الإرهاب، وخصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، على العولمة السياحية .

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث في منهجيته على أسلوب البحث المكتبي النظري لتشخيص وقراءة الواقع، حول آثار الإرهاب على العولمة السياحية في ضوء

المستجدات والأحداث الأخيرة، وكيفية مواجهة ذلك من خلال خلفية الكاتب ورؤيته في هذا الميدان، كإسهامة متواضعة في ندوة « الإرهاب والعولمة» قد تساهم في الخروج بتوصية أو توصيات لها أهميتها في تقليص آثار الإرهاب على العولمة السياحية وكيفية المواجهة لحماية السياحة على كل الأصعدة.

التمهيـــــــد

أصبحت العولمة ظاهرة محسوسة وملموسة في عالمنا المعاصر نتيجة التطور المذهل في وسائل الاتصال وحركة السفر والتنقلات لعدة أغراض أبرزها العمل والسياحة والتجارة والدراسة والنقاهة والتطبب وخلاف ذلك. والعولمة أمر واقع ينبغي علينا التعامل معه من داخله بقدر ما لنا من تأثير في هذا الكون الفسيح ومن خلال تكتلاتنا القومية والإقليمية. ولا ينبغي لنا النظر إلى هذا الواقع بإشكالية مستحدثة قابلة للزوال أو الإلغاء من خلال عمليات الرفض السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمعلوماتي والمسلكي التي يرى الرافضون للعولمة أنها حق مشروع لمقاومة العولمة. ولأصحاب هذا الرأي نقول أن العولمة ليس كلها خير مطلق أو شر مطلق. ففيها من هذا وذاك تبعاً لقوى التأثير والتأثر وموازين القوى والقدرة على اللعب والحركة في المساحات المتاحة للجميع.

ومن أبرز عوامل العولمة أو ما تقوم عليه القرية الكونية حسب رأي الكثير من الباحثين والكتّاب ما يلي:

ـ ثورة المعلومات وشبكة الاتصال.

ـ التجارة.

ـ السياحة .

والعولمة نظام ومعطى عالمي يشق طريقة ويفرض بقوة مكونات الحضارة العالمية (الغربية) السائدة . وابرز مكونات تعميم هذا النظام العالمي الجديد ، الاقتصاد (التجارة الحرة والأنشطة الإنسانية البارزة وفي مقدمتها السياحة) إشاعة الليبرالية ، إلغاء مفاهيم صراع الحضارات ومكافحة الإرهاب .

وقد دخلت العولمة الإنسانية في غمار تحولات كبرى يصعب فهمها ، والانقياد لآثارها ونتائجها ، وفهم منطقها إلا من خلال تبنى منهج وأسلوب علمي ومعرفي تكاملي ينظر نظرة شمولية لكل ما هو اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو معلوماتي أو واقعي ومستقبلي ، يتحدد فيه الدور والمكانة والعلاقة مع الأخر وكيفية فهمة .

وأثارت أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠٢م الرهيبة وغير المسبوقة العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابة . من أبرزها هل هذه الأحداث هي سبب أم نتيجة للنظام العالمي الجديد؟ هل هي إفراز متوقع لمفهوم القطب الواحد وقيمة أم علاقة تصادمية من نوع جديد سيكون أحد إفرازات العولمة الحديثة؟

الإرهاب والتعصب أخطر ظاهرتين تهددان الأمن والسلم المحلي والإقليمي والعالمي لآن مقومات التعصب الأعمى هو إلغاء الآخر أياً كان والإرهاب يقوم على فرض الإيديولوجيا بقوة التدمير .

الإرهـــــاب

توافر لدى الباحث أكثر من مائتي تعريف للإرهاب من كل أصقاع الكون . ولكون الإرهاب مصطلح معقد ومركب ومُختَلف عليه فإن جل تلك التعاريف ركزت على بعض صور وأشكال الإرهاب تبعاً لخلفية الكاتب

أو صاحب التعريف. ولذا فإن الكاتب هنا سيكتفي بتعريفين فقط وهما ما تضمنته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب وكذلك تعريف المجمع الفقهي الإسلامي.

عرّفت الاتفاقية العربية الإرهاب بأنه « كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو أحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر» (مجلس وزراء الداخلة العرب، ١٩٩٨، ص ٢).

كما عرف المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشرة الإرهاب بأنه « العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق وكأن فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها في قوله ﴿ ... **وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾** ﴾ (القصص، ٧٧)، (عكاظ، ١٤٢٢، ص١٠).

السياحة

أما كلمة «سياحة» فليس هناك تعريف مُجمع عليه من كل الباحثين والمشتغلين، إلا أن أبرز التعاريف وأكثرها قبولاً هو الذي يعرف السائح بأنه «المسافر المؤقت الذي يبقى لمدة أربع وعشرين ساعة بعيداً عن مقرّ إقامته الدائم بغرض قضاء وقت الفراغ أو الإجازة أو لغرض ديني ، صحي ، رياضي ، عائلي ، أو علمي» ، الذي أقره مؤتمر الأمم المتحدة حول السفر والسياحة الدولية المنعقد في روما عام ١٩٦٣م ، وأقره الاتحاد الدولي لمنظمات السفر غير الرسمية، والذي عرف فيما بعد بمنظمة السياحة العالمية (WTO) Burkart and Medlik, 1974, p.94, Matley, 1981,Holloway, (1989, p.9) .

ويقول الثقفي (١٤٢٠هـ، ص ١٣) أن هذا التعريف يشمل عدة عناصر مثل الانتقال، الإقامة المؤقتة، الزمن، المسافة، الهدف، التخطيط المسبق للرحلة، توافر المال لتلك الرحلة، وسيلة أو وسائل النقل المستخدمة، مكان المبيت أو السكنى والنشاط الممارس. وهذه العناصر تعنى بأن السياحة صناعة وبشكل قاطع.

كما أشار العديد من الباحثين إلى أن تعريف السياحة هذا يعني بأنها «صناعة» ومنهم على سبيل المثال (Boniface) (Nirrusib and Mill, 1985 & Cooper, 1987) (Holloway and Plant, 1988), (Holloway, 1989) (Davidson, 1989) (Al-Ghamdi, 1994) (الثقفي ، ١٤١٧هـ) و (القحطاني، ١٤١٧هـ) .

وأضاف ديفيدسون (Davidson, 1989, P.17) أن صناعة السياحة تفرض على أي دولة تسعى لجذب السياح والتوسع السياحي لإقليمها أن

تُؤمِّن الاحتياجات والخدمات الضرورية للسياح منذ ساعة وصولهم إلى ساعة مغادرتهم؛ ولذا فهو يرى أن المؤسسات التي تقدم تلك التسهيلات والخدمات تشكل ما يطلق عليه «صناعة السياحة». ويقول الغامدي (Al-Gamdi, 1994, P.9) أنه ينظر إلى السياحة على أنها صناعة؛ بسبب ما يشمله هذا القطاع من: منتجين، موظفين وطالبي وظيفة، المُنتج الذي يعني الخدمة أكثر من السلعة، وكذلك التأثير على الاقتصاديات بمختلف أحجامها وكذا الصناعات التقليدية.

العولمة السياحية

قبل الدخول في تعريف العولمة وأبعادها ومضامينها يدور في الذهن الكثير من التساؤلات الحائرة والمشروعة، مثل:

- ما هو مستقبل العولمة أو النظام العالمي الجديد؟
- ما موقفنا منها؟هل ننخرط فيها أو ننكمش عنها؟
- هل ستنتهي حقبتها بتلاقح الحضارات أم بتصادمها؟
- هل هي خير أم شر لابد منه؟
- هل سنحتويها أم ستحتوينا؟
- هل سوف يكون لنا فيها دوراً مؤثراً أم تابعا؟

أسئلة تدور في ذهن الكاتب، وغيره كثر، في ظل الصراع القائم بين أمم الكون وشعوبه وتجمعاته. وفي الوقت ذاته يرى الكاتب أن هناك إرهاصات سبقت ظهور العولمة كظاهرة أو كمفهوم معقد ومركب، مثل كتاب فوكوياما «نهاية التاريخ» وكتاب هنتنجتون «صراع الحضارات» وكتاب بول كندي «صعود وهبوط الإمبراطوريات» وكتاب توفلر «الموجة الثالثة» وغيرها من الكتب والندوات والمواد الإعلامية الموجهة في السنوات

الفارطة . كل ذلك وغيره كان تهيئة ومقدمات لمشروع فكري تقوده الدول المتقدمة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي هذا السياق يعرف البعض ظاهرة «العولمة « Globalization» على أنها هيمنة القوى الأمريكية وانتصاراً لها خصوصاً بعد سقوط الكتلة الشيوعية . يقول بيضون (١٩٩٨م، ص ١٩١ بعد بلقزيز، ١٩٩٣م ، ص ١٢٥) أن النظام العالمي الجديد يشكل امتداداً للنظام القديم القائم على السيطرة والاستغلال والهيمنة على بلدان العالم الثالث . وذلك استناداً إلى مراكز الدراسات الإستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترصد الأحداث السياسية والاقتصادية وتحللها إلى أن توصلت لوضع خطة جديدة تقضي بقلب موازين القوى كليا في العالم لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وإجهاض بوادر النهوض في العالم الثالث (بيضون، ١٩٩٨م، ص١٥٥ ، بعد Georges,1980,pp.30-125, Kovany,1986,P.549) .

وهذا يعني أن العولمة منهج أمريكي نتج للتخطيط المسبق لكيفية إدارة العالم وإنهاء سيطرة الدولة ماعدا المنظومة اللبرالية الرأسمالية الأمريكية تحديداً . والملفت أن كل مناطق وشعوب العالم أما موقعة على العولمة أو ممانعة في استحياء لأنه ليس لها ثقافة مستقلة ومؤثرة في الآخر بخلاف العالم الغربي الذي كثيراً ما تتكسر على أسنته الرماح .

ومن الباحثين والمهتمين من يرى أن العولمة عبارة عن حقبة تاريخية . على اعتبار أن عامل الزمن هو الحاسم، بغض النظر عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشوء الظاهرة محل المناقشة . وفي ذلك يرى صقر (٢٠٠٠م، ص ص ٧-١٣) أن المسلمين كانت لديهم الفرصة لعولمة العالم عندما كانوا سادة الأرض . ولكن غياب المنهجية والموضوعية والتفكير العاطفي وغير ذلك من الأسباب حال دون ذلك .

ويرى معلوم (١٩٩٩، ص، ١١٢) أن العولمة «كظاهرة» مازالت غير واضحة المعالم لا من حيث المفهوم Conceptually ولا من حيث اختبارها على أرض الواقع Empirically . وما يمكن أن يقال عنها إنها عبارة عن ديناميكية جديدة ذات كثافة عالية وسرعة في تبادل المعلومات والمكتسبات العلمية .

ومنهم من يرى أن العولمة مجموعة ظواهر اقتصادية، أو ثورة تكنولوجية واجتماعية . يرى السيد (١٩٩٩م، ص، ٦٤) أنها ظاهرة ذات أبعاد اجتماعية وسياسية واقتصادية لم تعرف من قبل . ويرى صقر (٢٠٠٠م، ص ٤٨) أن كل إنسان له نظرة مستقلة ومختلفة عن العولمة . فالعالم قرية صغيرة لرجال المال والأعمال وهو سوق، والعولمة تعني حرية التجارة الدولية المتزايدة والبحث عن سوق جديدة هو صراع في صراع، وهذه النظرة الضيقة للتجارة الدولية أصبحت حقيقة وواقع العولمة . ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك ويرى أن العولمة ما هي إلا أيديولوجية جديدة بمضمون قديم يقوم على إقصاء الآخر (الجابري، ٢٠٠١م، ص، ١٥١) .

ومنهم من يشير إلى أن مصطلح العولمة، إذا ما ذكر، يقود الذهن إلى أفق أرحب وأوسع في هذا الكون الفسيح أو إلى العالمية أو الكونية . وعليه فإن مفهوم العولمة له جوانب وأبعاد سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، تكنولوجية، قانونية، وإنسانية تشمل :

١ ـ حركة السلع والخدمات والأفكار دون حواجز .

٢ ـ تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة .

٣ ـ ظهور نفوذ وسطوة الشركات متعددة الجنسيات Multinationals ومتعدية الجنسيات Transnationals .

٤ ـ ظهور آليات جديدة مستقلة عن الدولة تتمحور حول المنظمات غير الحكومية.

٥ ـ بروز فكرة حقوق الإنسان في الحياة الحرة الكريمة، (الخضري، ٢٠٠٠م، ص ص ١٦ ـ ١٨ و الخضري، ٢٠٠١م، ص ص ٣١ ـ ٣٤).

العولمة السياحية هي أحد الأبعاد الرئيسة للعولمة الكونية. يقول السيد (١٩٩٩م، ص، ٦٤) أن أهم سمات العولمة التقدم الهائل في الاتصالات والمواصلات اللذان مكنا من سرعة انتقال البشر إلى أي مكان في العالم. هذا يعني أن الكون هو فضاء سياحي. والكوكبية في العولمة السياحية، تعني أن الكرة الأرضية كلها مجال سياحي إما مولِّد أو مستقبل للسائح والأفواج السياحية. وكذلك هي مولِّد سياحي للفضاء الكوني.

ومن مفاهيم العولمة عموماً نستشف أن العالم سوق سياحي تنافسي وكل ما يرتبط به من إعلان ودعاية ترويجية لاستقبال السياح والترويح عنهم وإيوائهم ووسائل ووسائط نقلهم.

وبعد هذا العرض الموجز للتعاريف المختلفة للعولمة يبرز سؤال رئيس وهو: هل لابد من الاتفاق على تعريف موحد للعولمة ونسقط بقية التعاريف ؟ الإجابة، في نظري، أن الاتفاق غير وارد أساساً لأن كل واحد من التعاريف السابقة يلامس جانباً من جوانب العولمة أولاً. وثانياً إن مفهوم العولمة، كمصطلح معقد ومركب ومختلف الدلالات والمعاني، لم يستقر، حتى الآن، في أذهان وعقول المفكرين والأكاديميين والباحثين والسياسيين وغيرهم.

إيجابيات وسلبيات العولمة

السلبيات: ينظر الكثير من مثقفي ومفكّري العالم الثالث إلى العولمة نظرةً تشاؤمية لخصها الخضيري (٢٠٠٠م، ص ١٣٠) في الجوانب التالية:

- سحق الهوية والشخصية الوطنية.
- سحق الثقافة والحضارة الوطنية.
- سحق المصالح والمنافع الوطنية.
- استباحة الخاص الوطني.
- السيطرة على الأسواق المحلية.
- فرض الوصاية الأجنبية والإذلال.

وكل هذه الأمور تقود حتماً إلى البطالة والفساد وزيادة العصبية والإقليمية والحقد والكراهية بين الشعوب والأمم. وأبرز ما سينتج عنها الإرهاب بأشكال وصور لم يعهد العالم لها مثيلا.

الإيجابيات: يرى أنصار العولمة أن الإيجابيات كثيرة لا يمكن حصرها وهي تشمل جميع النواحي والمجالات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية والسياسية والتقنية والمعلوماتية وغير ذلك. وما يهم هذه الورقة بشكل أكبر هو المجال الاقتصادي الذي يتم من خلاله إعادة تشكيل العالم من حيث الإنتاج والتسويق والتمويل وزيادة فرص العمل ورفع الكفاءة البشرية والفنية. وتتحقق العولمة الاقتصادية من خلال تطوير الصناعة والزراعة والخدمات الإنتاجية. ويأتي في مقدمة ذلك تطوير صناعة السياحة على

المستويين المحلي والدولي، وتحسين وسائل السفر وخفض تكلفتها. وتوحيد السياسات المالية والنقدية. وتوسيع الاستثمار والتكامل الاقتصادي.

آثار الإرهاب على العولمة السياحية

ذكر في بداية هذه الورقة أن السياحة لا تقوم إلا بتوفر عدة عناصر منها: السائح نفسه، الوقت، المال، المكان المقصود، وسيلة النقل، مقر الإقامة، الأنشطة التي تمارس أثناء الرحلة السياحية. وكل هذه العناصر تُحيَّد أو تُجمَّد أو تُلغى إذا شاع الخوف. والسياحة جبانة، كالمال، لا تنمو إلا في بيئة آمنة، وإذا كان الماء أساس الحياة فالأمن عصبها. قال تعالى ﴿ **الذي أَطْعَمَهُم مّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مّنْ خَوْفٍ** ﴾ (قريش، ٤). وفي ضوء ذلك فإن الكثير يرى أن الأمن كمطلب يأتي بعد غريزة الجوع والعطش. والحياة لا تستقيم في ظل غياب الأمن وكل مناحي الحياة تتعطل لأن الأمن هو شرطها. والأمثلة على ذلك في العالم المعاصر كثيرة. فمناطق التوتر ومسرح العمليات الإرهابية تأثرت أو انعدمت فيها الأنشطة السياحية.

وأمن السائح يعني توافر عنصر الأمن والطمأنينة للسائح من لحظة انطلاقه إلى وجهته المقصودة إلى حين عودته إلى بلده. وقد كانت أكثر الجرائم المرتبطة بالسياحة هدفها الكسب المادي، إلا أن الملاحظ في السنوات الأخيرة أن الجماعات الإرهابية استهدفت السياحة ووسائل نقلها. وأحد أبرز أهداف الجماعات الإرهابية المعلنة هو ضرب السياحة في البلدان التي يستهدفونها.

أحداث نيويورك وواشنطن الأخيرة وتداعياتها أدت إلى انكماش حركة السياحة في العالم وإلى خسائر فادحة لشركات الطيران العالمية. وخسرت الكثير من الدول التي تعتمد كلياً أو جزئياً على السياحة كمصدر للدخل، لأن السياحة تعد ثان أكبر مصدر للعملات الصعبة. وقد انخفضت الحركة السياحية بين ٦٠ـ ٧٠٪ في بعض دول أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط ففي مصر تحديداً انخفض عدد السياح إلى ٤ ,١٨٪ في شهر سبتمبر ٢٠٠١م، وفي الأسبوع الأول من الحرب على أفغانستان أعلن في فرنسا أن عدد السياح القادمين من أمريكا الشمالية انخفض بنسبة ٥٪ والقادمين من اليابان انخفض بنسبة ٢٥٪ (السياحة، ص ص ٥٨ ـ ٥٩).

يقول الخبراء ان اتجاه السياحة الدولية ينمو بمعدل ٦٪ سنوياً من عام ١٩٩٥ـ١٩٩٩م، ولكن الملاحظ الآن أن النمو نزل إلى معدلات متفاوتة من دولة إلى أخرى بسبب العمليات الإرهابية الأخيرة وتداعياتها، وبمعنى أدق عدم توافر الشرط الأمني الذي هو الأساس (السياحة، ص ٤٧).

ومن الأمثلة على تأثيرات أحداث ١١ سبتمبر ما ذكره سمو محافظ الهيئة العامة للاستثمار في المملكة العربية السعودية أن تراخيص الاستثمار الصادرة من الهيئة العامة للاستثمار انخفضت بنسبة ٣٥٪ عن الأشهر التي سبقت الأحداث وهذه نتيجة لما لحق بصورة الدول العربية والإسلامية من قبل الغرب، ولكنه أكد أن هذه الصورة ستحسن إن شاء الله من خلال البرامج الإعلامية الجيدة والواضحة عن الإسلام ووسطيته (الوطن العدد، (٣٥٥) الاثنين ٢٣ شوال ١٤٢٢هـ ص ١٣). كما تشير بعض الإحصاءات والتقديرات الصحفية الحالية إلى أن قطاع السياحة المصري تقلص بنسبة تزيد على ٤٠٪ بعد أحداث ١١ سبتمبر.

وذكر السيسي (٢٠٠١م، ص ص ٢٣٣-٢٤١) أن مصر استقبلت نحو خمسة مليون سائح عام ١٩٩٩م. ولكن قطاع السياحة في المعتاد يحتاج الكثير من العمل لتطويره. ويعزو انخفاض أعداد السياح بعد ذلك إلى عنصر الأمن والأحداث الإرهابية الأخيرة.

تناقلت وكالات الأنباء يوم الاثنين ١٤ يناير تقارير مفادها أن دخل السياحة الإسرائيلية انخفض بنسبة ٤٥٪ عام ٢٠٠١م بسبب الانتفاضة. والأرجح أن يكون ذلك بسبب إرهاب الدولة العبرية وإغلاق المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م.

وسط هذه الأجواء القاتمة على حركة السياحة الدولية تبدو السياحة الخليجية والعربية هي القادرة على الاستمرار ولأمد قد يطول. وذلك لتوافر عدة عناصر للسياحة العربية البينية أبرزها الأمن والغطاء التأميني للخطوط الجوية العربية، مثل: السعودية، مصر للطيران، الأردنية، الإمارات، الكويتية وغيرها، الذي فرضته شركات التأمين الدولية على الخطوط الوطنية تحت بند «الحرب ضد الإرهاب».

الرؤية والمواجهة

الرؤيـــــة

يعتقد العرب والمسلمون أن منظري العولمة وسادتها يسعون لتوظيف الحرب الشاملة ضد الإرهاب للنيل من التجمعات والكيانات العربية والإسلامية. وإلصاق تهمة الإرهاب أو دعمه أو أسباب نشوئه إلى المسلمين وثقافتهم الدينية. وذلك بهدف إلغاء أي مقاومة مشروعة للاستقلال وتقرير المصير من قبل كل الكيانات العربية والإسلامية. واعتبار أن أي مقاومة من

قبل هذه الكيانات يعد إرهاباً إلا ما تقره أو تقوم به سيدة العالم وحلفاؤها، على الرغم من أن أشد أنواع الإرهاب هو إرهاب الدولة. ومن أبرز أمثلته ما تقوم به إسرائيل في فلسطين المحتلة وما مارسه الصرب في كل من البوسنة والهرسك وكسوفا وغير ذلك كثير.

ومعلوم للجميع أن الدول العربية والإسلامية سبقت غيرها من أمم وشعوب الأرض في تحديد مفهوم الإرهاب. وسنت لذلك الاتفاقيات والإستراتيجيات والأُطر التشريعية والتنظيمية لكيفية مواجهته والتصدي له.

وقد شرع الله العقوبة المغلظة للإرهاب، واعتبرته (الإرهاب) الشريعة الإسلامية عدواناً وبغياً وفساداً في الأرض، لأنه حرب ضد الله ورسوله وخلقه. ولذلك صدرت عليه فتوى الحرابة من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بقرارهم رقم ١٤٨ لعام ١٤٠٩هـ الصادر بمدينة الطائف. استناداً إلى قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الذينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾**﴾ «المائدة، ٣٣».

وهذه الفتوى مطبقة بحمد الله في المملكة العربية السعودية ـ مما جعلها تنعم بالأمن ـ وفي كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي. وبسبب ذلك وفي ظل الهجمة المعاصرة الشرسة على الإسلام والمسلمين فإن الكاتب يرى، في ظل العولمة السياحية، أن هناك إيجابيات يمكن الاستفادة منها على الصعيدين الوطني والقومي وهي:

١ ـ تطوير السياحة الداخلية وخصوصاً أن المملكة العربية السعودية تمتلك

مقومات سياحية غنية بتنويعاتها الطبيعية والحضارية والدينية والتاريخية والمعمارية ولاجتماعية (الثقفي ١٤١٨هـ) .

٢ـ اتساع آفاق الاستثمار السياحي في المملكة لإرضاء السائح الداخلي أولاً والعربي والمسلم ثانياً . فاستهداف السياحة الدولية سابقا والأحداث الأخيرة تدفع بالضرورة إلى زيادة الطلب على السياحة الوطنية بما يزيد العبء على الهيئة العليا للسياحة للتخطيط المنظم لتطوير صناعة السياحة وتحسين وسائل وأساليب الجهات المقدمة للخدمة السياحية . وهو في ذات الوقت فرصة ملاءمة لاستقطاب السياح على الصعيدين الوطني والإقليمي لتوافر الشرط الأمني الذي هو أساس لكل حياة أو نشاط .

٣ـ تشجيع وزيادة السياحة البينية بين الدول العربية والإسلامية .

كما يرى الكاتب أن موضوع الإرهاب أُعطي حقه على المستوى الوطني والعربي والإسلامي . فالمملكة العربية السعودية ، على سبيل المثال لا الحصر ، ساهمت في الصياغة والالتزام بالعديد من الإستراتيجيات والاتفاقيات ومدونات قواعد السلوك ، المتصلة بالإرهاب وكيفية التصدي له ، بينها وبين منظومتها الخليجية والعربية والإسلامية والدولية .

ومن دلائل ومؤشرات العولمة السلبية التي يراها الكاتب في ما يخص العالم العربي والإسلامي (منطقة الشرق الأوسط) فإن محاربة الإرهاب ستقود إلى :

١ ـ محاربة الإسلام باسم الإرهاب .

٢ ـ الهيمنة على المنطقة العربية والإسلامية .

٣ـ تحييد البترول من اتفاقيات منظمة التجارة العالمية .

المواجهـــــة

لنصرة الحق والعدل والكرامة الإنسانية، في ظل العولمة المعاصرة، ينبغي على الدول العربية والإسلامية، على كل المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، العمل على إدماج ثقافة الأمة ودورها في النظام العالمي الجديد ومحاورة الآخر بهدوء وعقلانية من خلال ما يلي:

- العمل على الوصول إلى تعريف عالمي جامع مانع للإرهاب من خلال صك دولي يفرق بين الدفاع المشروع عن النفس وعمليات تقرير المصير من جانب والأعمال الإرهابية وغير المشروعة الأخرى.
- التحليل الموضوعي لواقعنا ومشاكلنا ومحاولة حلها بوضوح وتفاهم.
- توظيف جميع عناصر الإنتاج توظيفاً منتجاً وأميناً ومرتبطا بالقيم والأخلاق.
- إقامة التكتلات العربية والإسلامية والإقليمية ودعمها لأنه لا مكان في عالم اليوم إلا للقوي.
- إحياء «النظام العربي» بعد تطويره موضوعياً، حفاظا على الهوية العربية أولا وحتى لا نكون على هامش العولمة.
- تجذير الرؤية الإسلامية للعولمة للخروج بأنموذج مبني على الوسطية وسماحة الإسلام والانفتاح على الآخر لأن الاختلاف والتنوع بين بني الإنسان هو الأصل.
- ضرورة تأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف والتعصب المذهبي.
- التأكيد على أن أبشع صور الإرهاب هو ما تمارسه إسرائيل ضد العرب وأن مواجهته دفاع مشروع عن النفس وجهاد في سبيل الله مع ضرورة

التمييز بين الجهاد المشروع لرد العدوان والعنف العدواني ضد الآخرين أو لاحتلال الأرض أو انتقاص السيادة. والتأكيد على أن آداب الجهاد تحرم قتل الأبرياء أو إيذاء المستسلمين أو الأسرى أو الفارين أو مكونات البيئة.

- استنكار إيذاء المسلمين أو إلحاق الضرر بهم أو بمؤسساتهم أو بدولهم.
- التصدي لتهمة إلصاق الإرهاب بالإسلام لأنها محاولة لتنفير الناس من الدين الحق، على الرغم من أن عمليات التنصير مستمرة ومدعومة.
- التصدي للحملات الإعلامية، الباطلة ضد العرب والإسلام المسلمين، بعقول نيرة ومنفتحة على الآخر وبأساليب يفهما الآخر.
- إنشاء السوق العربية والإسلامية المشتركة.
- تطوير السياحة على الصعيد الوطني لفوائده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية.
- تفعيل وتدعيم السياحة البينية بين الدول العربية والإسلامية.
- تفعيل مشروع اتفاقية التأشيرات وحق المواطن العربي في التنقل.
- اتباع أساليب ترويج متطورة في تسويق ودعم السياحة والتجارة البينية بين دول العالم العربي والإسلامي.

مواجهة الجماعات والتنظيمات الإرهابية والمتطرفة على كل الأصعدة الوطنية والعربية والإسلامية والدولية بكل حزم وقوم، مع التركيز على المعالجة المجتمعية لأسباب وبواعث الإرهاب من بطالة وفقر وظلم اجتماعي. وفي هذا السياق يقول الصياد (١٩٩٤م)، ص ص ١ ـ ٣). أن الجريمة الإرهابية قد تكون نتيجة لمتغيرات عديدة وقد تكون سبباً للعديد من هذه المتغيرات وقد تكون سبباً ونتيجة في نفس الوقت. وعلى من يريد المعالجة الناجعة للجرائم الإرهابية فعلية تبني إحدى الاستراتيجيتين أولهما:

المحاربة في جميع الاتجاهات وفي الوقت نفسه وهذا ما ينطبق على الممارسة الأمريكية الحالية . ثانيها فهم العلاقات الديناميكية بين المتغيرات والمسببات للبحث عن أولويات وسائل المحاربة وطرق العلاج .

التناول الإعلامي المستمر للإرهاب وعناصر وأشكاله وأهدافه البغيضة وشرح ما يدور من أحداث في العالمين العربي والإسلامي بشكل خاص واستطلاع آراء الناس ومناقشتهم في اهتماماتهم وما يدور حولهم من قضايا وأحداث .

تعليق وخاتمـــــة

يظهر من خلال البحث أن أنصار نظرية المؤامرة دائماً ما ينسبون شرورنا وآلامنا ومصائبنا إلى الغرب المستعمر والصهيونية العالمية والقوى الخارجية . ومعظم المتجردين من نظرية المؤامرة تماماً يلقون باللوم على الأمة والدولة الوطنية لما يعانيه العرب والمسلمون . ولسان حالهم يقول ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ . ويرددون دوماً قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ولا لزماننا عيب سوانا

وفي رأيي وهو رأي الأكثرية على ما أظن ، أن المسئولية مشتركة وإن الاخفاقات التي تعاني منها الأمة هي بسبب عوامل ذاتية وأخرى موضوعية بيئية . ومن أبرز ما هو ذاتي هو أننا حتى الآن لم نحدد أهدافنا وأولوياتنا وآليات تنفيذها بوضوح . ولم نجيد فن التخاطب والتعامل مع الآخر أياً كان . ومن العوامل والأسباب الخارجية أن الآخر ما زال ينظر إلينا نظرة استعلائية وأبرز تعاملاته معنا محكومة بمبدأي القوة والمصلحة .

ومع ذلك أقول ، إن العولمة تفتح آفاقاً واسعة أمام الأفراد والقوى

الخلاقة لتجسير الهوة بين ما هو نام وما هو متقدم ولكي يكون لنا مكان في العولمة، ينبغي إعادة النظر في توجهاتنا التعليمية والثقافية والإنتاجية والإعلامية وتأهيل الكوادر البشرية ليتسنى لها القدرة على مجاراة تيار العولمة والتفاعل معه بإيجابية وفاعلية. فإعادة تشكيل تصوراتنا ورؤانا على أسس موضوعية يعيننا على تصور الدور الذي سنصل إليه إن شاء الله والخروج من اخفاقاتنا المتلاحقة. لقد أخفقنا في العولمة في مرحلة من المراحل الزمنية عندما كانت الأمة الإسلامية هي سيدة الأرض. كما فشلنا في الإجابة على سؤال حيوي وهام وهو لماذا نجح غيرنا في العولمة وأخفقنا نحن هل مكان ذلك بسبب النمطية الوراثية التي لا تقبل المناقشة والمساءلة والعلم للعلم أم بسبب غياب العقلية النقدية المتفتحة على الذات والأخر أم بسبب عدم توظيف قدراتنا وقاعاتنا ضمن منهجية عالية تنقل للآخر في قوالب عقلانية ومنطقية مقنعة أم بسبب ذلك كله.

أن ابتعادنا عن الموضوعية والمنهجية العقلانية في التفكير والتحليل وتقبلنا العاطفية والنرجسية في فهم ذواتنا ومواردنا وعقيدتنا قادنا إلى التبعية للآخر والاستقلال المنقوص.

والعولمة ليست خيراً مطلقاً أو شراً مطلقاً، فهي بين بين. وقد يكون من إيجابياتها العمل بكل السبل لتطوير السياحة الداخلية وكل أنشطتها ومنشآتها على الصعيد الوطني، والترويج لزيادة حركة السياحة البينية بين مختلف أقطار وبلدان العالمين العربي والإسلامي على الصعيد الإقليمي، ومن ثم استقطاب السياحة العالمية لزيادة العائد المادي وخلق فرص عمل جديدة والمساهمة في نقل ثقافتنا وعاداتنا للأخر.

المراجع

المراجـــــع

- أبو صقر، كامل (٢٠٠٠م) «العولمة التجارية والإدارية والقانون رؤية إسلامية» الطبعة الأولي ، دار الوسام، بيروت .
- الثقفي ، سلطان بن أحمد (١٤١٧هـ) «السياحة في المملكة العربية السعودية ـ السلوك والأنماط ـ دراسة استطلاعية ميدانية» أركان الخليج والمنتدى العربي للدراسات والنشر ، الرياض .
- الثقفي ، سلطان بن أحمد (١٤٢٠هـ) «السياحة والترويح ، إشكالية المصطلح والمفهوم ودور الجغرافي» ورقة مُعدّة للنشر ، الرياض .
- الجابري، (٢٠٠١م) محمد عيسى، العولمة، «مجلة الأمانة» أكاديمية السلطان قابوس، العدد ١٢ ، يناير، ص ١٥١ ، مسقط .
- الحمش، منير، (١٩٩٨م)، العولمة ليست الخيار الوحيد»، الأهالي للطباعة والنشر، ص ١٨ ، دمشق .
- الخالد محمد أسعد (٢٠٠١م) «أحداث أمريكا وأفغانستان ضربة موجهة للسياحة العالمية وفرصة للسياحة العربية البينية «السياحة»، العدد الثاني أكتوبر ص ص ٥٨ ـ ٦٠ ، بيروت .
- الخضري، محسن أحمد (٢٠٠١م) « العولمة الإجتياحية» مجموعة النيل العربية القاهرة .
- الخضري، محسن أحمد (٢٠٠٠م) « العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة « مجموعة النيل العربية القاهرة .
- السيد، (١٩٩٩م) محمود وهيب، ظاهرة العولمة وانعكاساتها الأمنية، «المجلة العربية لعلوم الشرطة»، عدد، ١٦٤ ، يناير، ص ٦٤ ، القاهرة .

ـ السيسي ، ماهر عبد الخالق (٢٠٠١م) « مبادئ السياحة» مجموعة النيل العربية القاهرة .
ـ الصياد، عبد العاطي (١٩٩٤م) « الإرهاب بين الأسباب والنتائج» ، مشروع محاضرة قدمت إلى ندوة الإرهاب بين الأسباب والنتائج التي عقدت بكلية التربية بجامعة قناة السويس يوم الثلاثاء ٥ أبريل ١٩٩٤م . الإسماعيلية ، ج .م .ع (بحث غير منشور) .
ـ المسفر باكر (١٤١٢هـ) الأمن في صناعة السياحة في « مكافحة جرائم السياحة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية (المركز العربي الدراسات الأمنية والتدريب سابقاً) الرياض .
ـ القحطاني ، محمد مفرح ، أرباب محمد ، وإبراهيم ، عبد المنعم (١٤١٧هـ) «السياحة : الأسس والمفاهيم ـ دراسة تطبيقية على منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية» دار العلم، جدة .
ـ المنذري ، سليمان (١٩٩٩م) « السوق العربية المشتركة في عصر العولمة» مكتبة مدبولي القاهرة .
ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية (١٤١٢هـ) المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب سابقاً «مكافحة جرائم السياحة» ، الرياض .
ـ بلقزيز، عبد الإله، (١٩٩٣م)، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المستقبل العربي، « المغرب العربي والنظام الدولي الجديد» المستقبل العربي، العدد ١٦٨ ، شباط، ص ١٢٥ ، بيروت .
ـ بيضون ، أحمد أمين (١٩٩٨ م) « الاقتصاد السياسي وقضايا العالم الثالث في ظل النظام العالمي الجديد « الطبعة الثانية، بيان للنشر والتوزيع والأعلام، بيروت .

ـ جريدة الوطن، «محافظ الهيئة العامة للاستثمار يصرح للوطن» العدد، (٤٥٥) الاثنين ٢٣ شوال ١٤٢٢هـ ص ١٣) أبها .

ـ جريدة عكاظ، (١٤٢٢هـ)، «المجمع الفقهي في بيانه الختامي يؤكد تحريم الإرهاب ويضع تعريفاً شاملاً له من منظور إسلامي»، العدد ١٢٩٢١ ، ٢٧ شوال، جدة.

ـ درويش ، محمد فهيم، « الجريمة في عصر العولمة وملف لأهم الظواهر الإجرامية وأشهر المحاكمات في مصر» النسر الذهبي للطباعة، القاهرة.

ـ عبد الصبور ، محسن فتحي (٢٠٠١م) «أسرار الترويح في عصر العولمة» مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، القاهرة.

ـ عبد المعطي، عبد الباسط (١٩٩٩م) « العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي « الجمعية العربية لعالم الاجتماع مركز البحوث العربية، مكتبة مدبولي القاهرة.

ـ مثني ، فضل على (٢٠٠٠م) « الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على التجارة الخارجية والدول النامية» مكتبة مدبولي القاهرة.

ـ مجلس وزراء الداخلية العرب، (١٩٩٨) «مشروع الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب في صيغتها النهائية»، الصادر عن اللجنتين المنبثقتين عن مجلسي وزراء الداخلية والعدل العرب، القاهرة.

ـ مجلة السياحة (٢٠٠١م) العدد الثاني أكتوبر ٢٠٠١م بيروت.

ـ معلوم، حسين، (١٩٩٩م)، التسوية في زمن العولمة التداعيات المستقبلية . . لخيار العرب الاستراتيجي، في « العولمة والتحولات المجتمعية في العالم العربي» (ص ص ١١١ـ١٤٧)، مكتبة مدبولي، القاهرة.

المراجع الأجنبية

- Alexander, l., G., (1980) "Presidential Decision in Foreign Policy; The Effective use of information and Advice" Westview Press, Colorado,pp. 30-125.
- Al-Ghamdi, A., M., (1994) "Assessment of the Demand for and the Implications of Tourism Development in the Al-Baha Region" Arp-12-28 Final Report, King Abdulaziz City for Science and Technology, General Directorate of Research Grants Programs, Riyadh.
- Burkart, A. J. & Medlik, S. (1987), "Tourism Past, Present and Future", Heinemann, London.
- Davidson, R., (1989), "Tourism", Pitman Publishing, London.
- Holloway, J. C. and Plant, R. V. (1988) "Marketing for Tourism", Pitman Publishing, London.
- Holloway, J. C. (1989) "The Business of Tourism", Pitman Publishing, London.
- Kovany, B., (1984) "Strategie Studies and the Third World: A critical Evaluation" International Social Science Journal,110, March,p.549.
- Lathan, J. (1992), "International tourism and Statistics" (ed) C. Cooper & A. Lockwood, in "Progress in Tourism, Recreation and Hospitality Management", V.4, Belhaven Press, London, pp. 267-81.
- Matley, I.(1981), "The Geography of International" Resource Paper 76-1, The Association of American Geographers, Washington D. C.

- Nirrussib, A. M., and Mill, R. C., (1985) “The Tourism System: An Introductory Text“, Prentice-Hall, New York.
- Robinson, H. (1976) “A geography of Tourism“, Macdonald and Evans, London.